من الانوار ويسلك من طريق الاعتبار ما ارشد الله اليه في القرآن فليس بعد بيان الله بيان وقد قال
الله تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار
معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا الى قوله وجنات الفافا وقال تعالى ان
في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك الى قوله لقوم يعقلون وقوله تعالى الم تروا كيف
خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا الى قوله اخراجا وقال تعالى افرايتم ما تمنون ءانتم
تخلقونه ام نحن الخالقون الى قوله للمقوين فليس يخفى على من معه ادنى مسكة من عقل اذا تامل بادنى فكرة
مضمون هذه الايات وادار نظره على عجايب خلق الله في السموات والارض وبدايع فطرة الحيوان والنبات
ان هذا الامر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة
النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال تعالى افي الله شك
فاطر السموات والارض ولهذا بعث الانبياء كلهم لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا لا اله الا الله وما امروا
ان يقولوا لنا اله وللعالم اله فان ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من مبدأ نشوهم وفي عنفوان شبابهم
ولذلك قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال تعالى فاقم وجهك للدين
حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فاذن في فطرة الانسان و
شواهد القرآن ما يغني عن اقامة البرهان ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول
في بداية العقول ان الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب يحدثه والعالم حادث فاذا لا يستغني في حدوثه
حدوثه عن سبب اما قولنا الحادث لا يستغني عن سبب فجلي فان كل حادث فهو مختص بوقت يجوز
في العقل تقدير تقديمه وتاخيره فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يفتقر بالضرورة الى المخصص
واما قولنا العالم حادث فبرهانه ان الاجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا
يخلو عن الحوادث فهو حادث ففي هذا البرهان ثلاث دعاوى الاول ان الاجسام لا تخلو عن الحركة
والسكون وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيه الى تامل وافتكار فان من عقل جسما
لا ساكنا ولا متحركا كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا الثانية قولنا انهما حادثان ويدل
على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد في جميع الاجسام ما شوهد منها
وما لم يشاهد فما من ساكن الا والعقل قاض بجواز حركته وما من متحرك الا والعقل قاض بجواز سكونه
فالطارئ منهما حادث لطريانه والسابق حادث لانه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سيأتي
بيانه وبرهانه في اثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس الثالثة قولنا ما لا يخلو عن الحوادث فهو
حادث انه وبيانه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا اول لها ولو لم تنقض تلك الحوادث
بجملتها لا تنتهي النوبة الى وجود الحادث الحاضر في الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال ولانه لو كان
للفلك دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها عن ان يكون شفعا او وترا او شفعا ووترا او لا شفعا
ولا وترا ومحال ان يكون شفعا ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا فان ذلك جمع بين النفي والاثبات اذ
في اثبات احدهما نفي الاخر وفي نفي احدهما اثبات الاخر ومحال ان يكون شفعا لان الشفع يصير وترا

بزيادة

بزيادة واحد فكيف يعوز ما لا نهاية له واحد ومحال ان يكون وترا اذ الوتر يصير شفعا بواحد فكيف
يعوزها واحد مع انه لا نهاية لاعدادها فيحصل من هذا ان العالم لا يخلو عن الحوادث فهو اذا حادث
فاذا ثبت حدوثه كان افتقاره الى المحدث من المدركات بالضرورة **الاصل الثاني** العلم بان الباري
تعالى قديم لم يزل ازلي ليس لوجوده اول بل هو اول كل شيء وقبل كل ميت وحي وبرهانه
انه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو ايضا الى المحدث وافتقر محدثه الى المحدث وتسلسل ذلك الى
غير نهاية وما تسلسل لم يتحصل او ينتهي الى محدث قديم هو الاول وذلك هو المطلوب الذي سميناه
صانع العالم وباريه ومحدثه ومبدعه **الاصل الثالث** العلم بانه مع كونه ازليا ابدي ليس
لوجوده اخر فهو الاول والاخر والظاهر والباطن لان ما ثبت قدمه استحال عدمه وبرهانه انه
لو انعدم لكان لا يخلو اما ان ينعدم بنفسه او بمعدم يضاده ولو جاز ان ينعدم شيء يتصور
دوامه بنفسه لجاز ان يوجد شيء بنفسه صح فكما يحتاج طريان الوجود الى سبب فكذا يحتاج
طريان العدم الى سبب وباطل ان ينعدم بمعدم يضاده لان ذلك المعدم لو كان قديما لما تصور
الوجود معه وقد ظهر بالاصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده في القدم
ومعه ضده وان كان الضد المعدم حادثا كان محالا اذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى
يقطع وجوده باولى من القديم في مضادته للحادث حتى يدفع وجوده بل الدفع اهون من القطع والقديم
اقوى من الحادث **الاصل الرابع** العلم بانه ليس بجوهر يتحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة
الحيز وبرهانه ان كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من ان يكون ساكنا فيه او متحركا عنه
ولا يخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر
متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم فان سماه مسم جوهرا ولم يرد به المتحيز كان مخطئا من
حيث اللفظ لا من حيث المعنى **الاصل الخامس** العلم بانه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر
اذ الجسم عبارة عن المؤتلف من الجواهر واذا بطل كونه جوهرا مخصوصا بحيز بطل كونه جسما
لان كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر وجوهر ويستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحر كة
والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدث ولو جاز ان يعتقدوا ان صانع العالم جسم لجاز
ان يعتقدوا الالهية للشمس والقمر ولشيء اخر من اقسام الاجسام فان تجاسر متجاسر على تسميته
تعالى جسما من غير ارادة التاليف عن الجوهر كان ذلك غلطا في الاسم مع الاصابة في نفي
معنى الجسم **الاصل السادس** العلم بانه تعالى ليس بعرض قايم بجسم ولا حال في محل
لان العرض ما يحل في الجسم وكل جسم فهو حادث ويكون محدثه موجودا قبله فكيف يكون
حالا في الجسم وقد كان موجودا في الازل وحده وما معه غيره ثم احدث الاجسام والاعراض
بعده ولانه عالم قادر مريد خالق كما سياتي بيانه وهذه الاوصاف تستحيل على الاعراض بل لا
تعقل الا لموجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل من هذه الاصول انه موجود قايم
بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وان العالم كله جواهر واعراض واجسام فاذا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)